

مكلمخانة

2 يوليو 2008

حازم هاشم

قرأت له قبل أن ألقاه، فأعجبت به لشجاعته ولمّا صادقته تعلمت منه، كيف يكون الإنسان صاحب موقف يقول قولة الحق لا يتلفت، وامتدت علاقتنا لنحو ربع قرن فلم أصادف كثيراً من الأشباه والنظائر له في تحليه بالاستقامة والنزاهة في العلم، وكيف لا يحب الوطن حباً أعمى فنتعصب له بعيداً عن الموضوعية، أو ننتقد الوطن إلي حد جلد الذات، ورأيت فيه الاعتداد بالنفس والكل يعرف له قدره، وكان رجل جامعة من طراز فريد، يحب الجامعة ولكنه لا يغفل عن مثاليها التي تفاقمت في حياته، وكان معاركاً شريفاً لا تستهويه المعارك الصغيرة، فقد كان كل ما يعنيه أن يخدم العلم وينفع الناس. هذا هو المؤرخ الثبت ، الكاتب المرموق ، أستاذ الجامعة الدكتور **رؤوف عباس حامد** الذي هزمه المرض بالموت ليرحل عنا في الأسبوع الماضي، وكانت صورته قد اكتملت عندي بمطالعة كتابه " مشيناها خطي " الذي استعرض فيه سيرته الذاتية ومسيرته الجامعية، وأدركت أن هذا الرجل لم يأت من فراغ، ولم تصطنع له قيمة أو قامة، فقد عرف الكفاح وعُسر النشأة وطلب العلم رغم الصعاب، لقد أنفق عرقاً كثيراً حتى أصبح هذا الرجل الذي تستدعيه الذاكرة علي الفور عند قضية عامة أو خلاف أكاديمي ينتظر فيها الرأي منه والحقائق التي يجلوها فيما اختلف فيه القوم، وهذا هو رؤوف عباس الذي لا تطوي الأيام الحزن عليه حيث يشعر الذين عرفوه واحتكوا به فتعلموا علي يديه أو زاملوه كيف يكون الفقدان، وأي ركن ركين خلا من صاحبه.

ولست أنسى له معركة صامته خاضها وكان لي شرف خوضها معه يوم أن عانت الجمعية المصرية للدراسات التاريخية العسر والعذر، فلم تجد ما لا تدفع منه إيجار مقرها الشهري، حتي هدها صاحب العقار بالطرد، فلما كتبت عدة مقالات عن ذلك، واستصرخت همة الدولة كي تقدم للجمعية مقراً آخر، إذا بكتاباتي وكتابات آخرين لا تجد صدي عند الذين لا اهتمام لهم بغير الليالي الملاح!، فأرسل رؤوف عباس رسالة إلي حاكم الشارقة الشيخ سلطان القاسمي - كثيراً ما قدم العون إلي مؤسسات جامعية مصرية - يشرح فيها أزمة الجمعية الجلييلة، وكان أن بادر حاكم الشارقة بكريم بالغ إلي إبلاغ مكتبه في القاهرة بأن يكون للجمعية مقراً يتم بناؤه وتأثيثه وتجهيزه، علي أرض يختارها مجلس إدارة الجمعية، فلما تم كل ذلك كانت لفرحة رؤوف عباس حرارة لا أجد ما يعبر عنها سوي إحساسه بأن الفرج قد أتى محبة من الله للعلم والعلماء، فالجمعية حالياً في مقرها الشامخ وقد قام تحت سمع وبصر رؤوف عباس وزملائه من الأعضاء، وتصدر الجمعية الكتب والمطبوعات وتعد الندوات من ريع سنوي باسم الجمعية. ومن جوانب حضور رؤوف عباس في العمل العام أنه عاش كارهاً للاستبداد، محتقراً الملق الرخيص، لا يعرف للجامعة استقامة لأمرها إلا باستقلالها الكامل، فقد كان رؤوف عباس واحداً من رواد " جماعة 9 مارس لاستقلال الجامعات "، يواظب علي المشاركة في نشاطها، وقد ترك رؤوف عباس تراثاً من الكتب العلمية والمقالات وتلاميذ يحفظون له توجيهاته، فرحم الله صاحب هذه المسيرة العظيمة.